وجوه حول الصليب

(مرقس ١٥:٢١-٤٧)

تأليف: جو شوبيرت

تختلف قصة إنجيل مرقس عن صلب ربنا بقليل عما سردها كُتاب الإنجيل الآخرين. انه لم يدون عدة حقائق التي اشتملتها سجلات الآخرون. بصراحة، الوصفة الحقيقية لكلمات المسيح وأفعاله خلال الصلب محصورة في إنجيل مرقس في خمس أيات قصيرة. عندما توضع تلك الآيات الخمس مع بعضها البعض وتقرأ على التوالي، القصة كما قالها مرقس ترى على النحو التالي:

> وجاؤا به إلى موضع جلجثة الذي تفسيره: موضع جمجمة. وأعطوه خمراً ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل. و... صلبوه،... وفي الساعة التاسعة، صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: «إلوي إلوي، لما شبقتني؟» الذي تفسيره: «إلهي إلهي، لماذا تركتني؟»... فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح (الآيات ٢٢-٢٤ و ٣٤ و٣٧).

من الآية ٣٧ وصاعداً، التركيز في إنجيل مرقس ليس على يسوع، وانما على الناس الذين وقفوا حول الصليب. يقدم لنا مرقس أفراد أو مجموعة أفراد الذين تجمعوا حول الصليب وراقبوا الصلب. يأتي بهم أمامنا واحداً واحداً لكي نرى رد فعل الناس لهذا الحدث المرعب. إن كان يسوع قد صلب اليوم، لاجتمع هؤلاء الناس انفسهم حول الصليب. يكون صليب الشخصيات ثابت وغير متغير. لكان السلوك الاعتيادي نفسه الذي كان موجود في القرن الأول يكون موجود اليوم. الحدث هو حقاً غير مقيد بالزمن.

١. سمعان الذي حمل صليبه (مرقس ٢١:١٥)

يوجد أول وصف لهذه الشخصية في الآية ٢١، عندما عبر مرقس عن الحدث الذي وقع عندما كان يسوع في طريقه إلى الصليب. في طريقه من قاعة محكمة بيلاطس إلى الصليب، وقع يسوع تحت ثقل الصليب. أمسك العسكر الرومان غريباً من الجموع وأجبروه ليحمل صليب المسيح. في الآية ٢١ يقول مرقس: «فسخروا رجلاً مجتازاً كان آتياً من الحقل وهو سمعان القيرواني وأبو الكسندرس وروفس ليحمل صليبه.» لا بد ان هذا اليوم كان يوماً متعباً لسمعان القيرواني. كانت فلسطين دولة محتلة، وقد يجبر أي رجل على العمل في الجيش الروماني لأية مهمة مهما كانت. هذا يكلف فقط لمسات خفيفة على المنكب بالطرف الخلفي المسطح من رمح الجندي الروماني.

يقول مرقس بان سمعان كان من قيروان في إفريقيا، ربما جاء إلى أورشليم ليحتفل بالفصح، في اللحظة التي جذب فيها سمعان من الجمع وأجبر ليحمل الصليب ليسوع الناصري، ربما غضب جداً لهذا التدخل الغير مرغوب فيه. ومع ذلك، يشير الكتاب المقدس بان هذا الحدث قد أثر تأثيراً عظيماً في حياة سمعان. قد يوجد اشارة خفيفة في سفر الأعمال بان سمعان أصبح مسيحي نتيجة لهذا التداخل المفاجيء لخططه. في سفر أعمال الرسل الأصحاح ١٣ أعطيت قائمة باسماء أناس ما،

كانوا أعضاء الكنيسة في انطاكيا، الكنيسة التي أرسلت بولس وبرنابا في أول ارسالية تبشيرية إلى الأمم. من اسماء الرجال شخص باسم سمعان الذي يدعى نيجر .الكلمة « نيجر » هي تعبير عن شخص ذو البشرة السوداء، وهذا صحيح لمن هم من إفريقيا. كانت قيروان وطن سمعان تقع في إفريقيا هذا من المحتمل جداً ان سمعان الذي يدعى نيجر وعضو كنيسة انطاكيا هو سمعان القيرواني نفسه الذي أجبر ليحمل صليب يسوع. إن كان الأمر هكذا، صار سمعان إذاً قائدا في كنيسة انطاكيا وكان عضوا فعالا من بين أولئك الرجال الذين قاموا بالارسالية التبشيرية الأولى للأمم.

يخبرنا مرقس بان سمعان كان أبو الكسندرس و روفس كانا معروفين للأمم قراء إنجيل مرقس. لا بد انهما كانا مسيحيان مشهوران في القرن الأول. في الأصحاح ١٦ من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، يذكر بولس اسم روفس الذي كان عاملاً معه والذي أمه قد ساعدت الرسول بولس بصورة خاصة. إن كان روفس ذلك وروفس هذا هما الشخص نفسه، إذاً لم يكن زوج أُم روفس هذه التي كانت محسنة لبولس شخصاً آخر غير سمعان القيرواني.

٢. العسكر الرومان الذين رفعوا صليبه قائما (مر ١٥:٢٤)

كان جنود الرومان الذين صلبوا يسوع مجتمعين تحت الصليب نفسه، أولئك الجنود الرمانيون القساة الذين كانوا قد صلبوا ربما عدداً لا يحصى من الناس. لاحظ بان هذا كان وقت الفوضى والقلاقل في فلسطين. كان يصلب كثيرين في هذا الوقت. ومن غير شك، كان لهؤلاء الجنود كثير من الخبرة في الصلب. عندما أنهوا المهمة الشرسة وهي تسمير يدي يسوع وقدميه على الصليب، يقول مرقس انهم لم يفكروا بشيء آخر يفعلون بل جلسوا، وبدأوا لعبة النرد وقامروا على ثوب يسوع.

هؤلاء العسكر هم النموذج للشخصيات ذات القلوب القاسية والذين ليس لهم رغبة في قصة الصليب والذين يهزون مناكبهم بلا مبالاة لكل من يحاول أن يثير اهتمامهم بما حدث في الجلجثة قبل ألفي سنة تقريباً.

٣. المجرمان: الذين رافقا صليبه (مر ١٥:٢٧ و ٣٢)

رافق الصليب أيضاً لصان كانا قد صلبا مع يسوع. يقول مرقس في الآية ٢٧: « وصلبوا معه لصين، واحد عن يمينه وآخر عن يساره. » وبعد آيات قليلة يضيف مرقس بان اللذين صلبا معه كانا يعيرانه. قبض على هذين الرجلين في الحملة الارهابية والعنف اللذين قاما بها. كانا ثوريان محترفان. كانت فلسفتهما هي: « خذ كل ما يمكنك أن تأخذه بأية وسيلة ممكنة بغض النظر عن من يصاب بالضرر عند الإجراء. » وضعا يسوع في مقامهما وأعتبراه مجرم أيضاً؛ فتخلصا من يأسهما عليه. كانا يعيرانه لأنه لا يمكن أن يفعل الكثير لهما مما يستطيعان أن يفعلا له؛ هكذا تفكرا.

لم يخبرنا مرقس ماذا حدث في واحد من ذينك اللصين، ولكن كُتاب الأناجيل الآخرين. يقومون بذلك يخبرنا سجل إنجيل آخر بان واحد من اللصين عندما راقب كل ما كان يحدث، تاب من الإساءة إلى يسوع. قال اللص: « أما نحن، فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا. وأما هذا، فلم يفعل شيئاً ليس في محله » (لوقا ٢٣:٤١).

واحد من أجمل الأشياء في قصة الصلب هو قبل أن يلفظ يسوع أنفاسه الأخيرة، لاحظ أحد اللصين في لحظة الحق هذه وبمراقبة استجابة يسوع لكل ما كان يحدث بانه كان هناك رجل سيدخل الملكوت وفي ذلك الملكوت سيكون ليسوع قوة وسلطان عظيمين. هذا اللص ألقى بنفسه تحت رحمة يسوع وصاح بصوت عظيم والذي سيبقى صداه خلال العصور: « اذكرني يارب متى جئت في ملكوتك! » فأجابه يسوع تلك الإجابة المشهورة: « الحق أقول لك، إنك اليوم تكون معي في

الفردوس » (لوقا ٢٣:٤٣).

٤. المجتازون: أستهزؤابصليبه (مر ١٥:٢٩-٣٢)

في الآية ٢٩ يخبرنا مرقس عن أناس مجتازون الذين مروا بالقرب من صليب يسوع. يقول مرقس: « وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤسهم قائلين: آه، يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام، خلص نفسك وانزل عن الصليب... لنرى ونؤمن. »

هؤلاء الكهنة المتغطرسين والمتكبرين لهم نظير في الذين تحت ستار الدين يسيئون إلى أقدس قواعد الأيمان المسيحي.

٥. الذي لا يذكر أسمه: الذي راقب صليبه (مر ١٥:٣٥ و ٣٦)

كان شخصاً آخر عند الصليب مهتم بكل هذه الإجرآت. لم يذكر لنا اسمه؛ بل كان فقط واحد من الواقفين هناك. دخل مسرح الأحداث عندما صرخ يسوع إلى الله: « إلهي إلهي، لماذا تركتني؟ » (آية ٣٤). يضيف مرقس بانه عندما سمع قوم من الحاضرين هذا الصراخ، قالوا: « اسمعوا! هوذا ينادي إيليا. » ولكن رجلاً آخر ركض وملأ إسفنجة خلاً وجعلها على قصبة وأعطاه ليسوع ليشرب؛ وقال: اتركوا! لنر هل يأتي إيليا لينزله! الكلمات العبرانية التي كان يسوع يتكلم بها: « إلوي إلوي،لما شبقتني؟ » تسمع كأنها إيليا، لهذا أخطأ الناس ما كان يقوله يسوع.

يبدو في اللمحة الأولى كأن مشاعر هذا الرجل قد تحركت؛ ركض وأخذ خلاً ووضعه على الاسفنجة ومده ليسوع ليشرب. يبدو وكأنه أراد أن يفرج بعد من آلامه باعطاءه نوع من المخدر ليهديء الألم. ولكن إن نظر أحد بامعان أكثر في إنجيل مرقس، يلاحظ بان هذا لم يكن الدوافع على الاطلاق، هذا الرجل عند الصليب كان يقول: « لنؤخر موته. » أعطى يسوع إسفنجة بها خل لكي لا يموت سريعاً. « انتظروا! لنرى هل يأتي إيليا لينزله. انه ينادي إيليا. فلنطول حياته ونرى هل يحدث ذلك! »

هذا الرجل قد أثاره حب الاستطلاع وليست الشفقة. من بين كل الذين تجمعوا حول صليب يسوع، لا يوجد حدث يوصف في يومنا هذا أكثر من الرغبة في البحث عن الاثارة وعن المتعة مما أظهره هذا الرجل.

في هذه اللحظة مات يسوع! نادى بصوت عظيم ولفظ روحه، لا يزال لمرقس ثلاثة مجموعات من الناس الذين تجمعوا حول الصليب. هؤلاء الناس كانوا من شخصيات مختلفة. بعد موت يسوع، لم يذكر كلمة عن أي شخص يستهزيء أو يسيء أو يلعن. الذين وقفوا في الأمام عند موته هم الذين كانوا معجبين به.

٦. قائد المئة:الذي أدرك صليبه (مر ١٥:٣٩)

أول هؤلاء كان قائد المئة. أنه مذكور في إنجيل مرقس ١٥:٣٩. انه كان قائد مئة روماني، المسؤول عن مجموعة الاشخاص الذين عينوا للصلب، يقول مرقس: « رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح، قال: حقاً كان هذا الإنسان ابن الله. »

لا نعلم شيئاً أبداً عن قائد المئة هذا، حتى يقف هنا في نور وجه يسوع الراقد. كونه من الجيش الروماني، فهو أذن جزءا من أكبر جيش وثني عرفه العالم على الاطلاق. لقد امتدت انتصارات وحروبه على التوالي لمدة سبعة قرون تقريبا. وكونه قائد مئة، أي قائداً لآخرين، يدل على انه كان رجلاً متوسط العمر وله خبرة بضع سنيين من الخدمة، والذي من خلال إدائه تم ترقيته إلى منصبه الحالي. عمل الصلب هذا لم يكن شيئا جديدا له. فقد مر عليه أكثر المجرمين الذي لا يبالون وسافكي الدم الأكثر قساوة والقتلة بدوافع سياسية الذين كانوا معلقين على تلك الصلبان. ولكنه رأى في يسوع كمال الخلق الذي لا يضاهيه كل ما مسجل في سجلات التاريخ. امتلكه اقتناع عميق. اخترق سكون تلك اللحظة المرعبة بكلمات مثل كلمات عسكرية قوية: « حقاً كان هذا الإنسان ابن الله. »

لم يرى أبداً موت مثل هذا. الإساءة التي أساء بها الجمع إلى يسوع والتي قد تغيظ العسكر وتغضبه، قبلها يسوع بضبط النفس تام. كان قائد المئة وثني من غير شك ويؤمن بكثير من الآلهة. أحس بانه قد تم ارتكاب خطأ فاضح في صلب يسوع الناصري. أحس فجأة بشخصية يسوع الحقيقية وأعترف علانياً: «حقاً كان هذا الإنسان ابن الله.» تقول التقاليد القديمة التي يدعمها على الأقل أحد كُتاب القرن الثالث بان قائد المئة هذا، كان جنديا رومانيا يدعى لونغجينيس. قادته العجائب التي رافقت موت المسيح ليصير مسيحياً وأخيراً مات شهيداً من أجل إيمانه.

٧. النساءاللواتي بكين على صليبه (مر ١٥:٤٠ و ٤١)

في الآيتين ٤٠ و٤١ يصف مرقس أيضاً مجموعة من النساء اللواتي اجتمعن حول الصليب. إذ يقول:

> وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسي وسالومة. اللواتي أيضاً تبعنه وخدمنه حين كان في الجليل. وأخر كثيرات اللواتي صعدن معه إلى أورشليم.

هذا حدث غريب. أين كان الرجال؟ أين كان يعقوب ويوحنا وبطرس؟ نعلم من الأناجيل الأخرى بان يوحنا كان مع مريم أُم يسوع عند الصليب في وقت مبكر. خلال الساعات الأولى من الصلب، وجد يسوع وقتاً من خلال آلامه ليتحدث إلى يوحنا ويوكل إليه الاعتناء بأمه. ولكن يبدو الآن بان يوحنا قد مضى وأخذ معه مريم أُم يسوع. وبقت النساء الأخريات. كن منذهلات ومنكسرات القلب ومغمورات بالحزن. انهن أحببن بعمق بحيث لا يمكنهن أن يتواجدن في مكان آخر. تشبثن بمحبة يسوع حتى عندما وقفت الذاكرة عن الإدراك، تشبثن بالمحبة.

لقد كانت النساء آخر من بقى مع يسوع عند موته. وكن أول من رأى قيامته. هذا ثناء رائع على الاحساس الروحي للنساء.

٨. يوسف الذي أنزل جسد يسوع من الصليب (مر ١٥:٤٢-٤٧)

يأتي مرقس بمشهد واحد أخير في الآيات ٤٢ إلى ٤٧:

> ولما كان المساء إذ كان الاستعداد، أي ما قبل السبت، جاء يوسف الذي من الرامة مشير شريف، وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله. فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع. فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً. فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات؟ ولما عرف من قائد المئة، وهب الجسد ليوسف. فاشترى كتاناً فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه في قبر كان منحوتاً في صخرة ودحرج حجراً على باب القبر. وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسي تنظران أين وضع (الآيات ٤٢-٤٧).

الآن نرى يوسف الذي من الرامة، التلميذ في الخفاء وعضو السنهدريم. يخبرنا إنجيل يوحنا ٣٨:١٩ بان يوسف كان تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود. يضيف مرقس بانه كان عضو شريف في مجلس السنهدريم. ويقول لوقا بانه كان رجلاً صالحاً وباراً، لم يكن موافقاً لرأي وعمل السنهدريم (لوقا ٢٣:٥٠-٥١).

مع انه كان معجب بيسوع، إلا انه كان خائفاً من الظهور للعيان. خلال محاكمة يسوع كلها، لم يذكر يوسف الذي من الرامة. رغم ان الكتاب المقدس يقول بانه لم يكن موافقاً بما حدث أمام السنهدريم، لم تكن له الشجاعة بأن يتكلم جهراً ليدافع عن يسوع. كم مرة يحدث ذلك في أيامنا هذه! قد يحدث إلى أناس صالحين ومستقيمين مثل يوسف. نبقى ساكتين عوضاً عن التكلم بعلانية عندما تكون الأمور واضحة بجلاء.

بعد موت الرب، عندما كان جسد يسوع معلق على الخشب، يقول مرقس بان يوسف الذي من الرامة وقف أخيراً ليُحصى. بموته فعل يسوع الكثير ليوسف الذي من الرامة مما فعل له بكلمات وأعمال حياته. يبدو بان مظهر يسوع على ذلك الصليب ملئ يوسف ندامة

مخزية. لانستطيع تصور الندامة التي فيه. لماذا وقف بعيداً عن يسوع طول هذا الوقت؟ لماذا رفض أن يُعرف كواحد من أتباعه؟ لماذا أخفق للأعلان عن نفسه؟ خلال السنوات الثلاث لخدمة يسوع القوية، لماذا لم يقف يوسف أبداً إلى جانب يسوع؟ الكلمات التي قالها أغسطين فيما بعد لا بد انها قد عبرت عن شعوره: «كله متأخراً إذ أحببتك.»

يقول مرقس بان يوسف تجاسر ودخل إلى بيلاطس. برغبة الرجل الذي كان يريد أن يكفرعن ذنبه ويعوض فرصة الأيام الضائعة، وتوسل من أجل جسد المسيح. في قبره الذي أعده لنفسه لكي يُدفن فيه، هناك وضع جسد يسوع أخيراً.

في وسط هذه الأحداث المتسلسلة حول الصليب، يورد مرقس ثلاث وقائع مثيرة. أولا: يذكر صراخ يسوع في الساعات الثلاث الأخيرة، عندما غطى ذلك الظلام الغريب وجه المسكونة. ومن تلك الظلمة يأتي صراخه: «إلوي إلوي، لما شبقتني؟ إلهي إلهي، لماذا تركتني؟» ثانياً: يسجل بان يسوع أسلم الروح. ثالثاً: يقول بان حجاب الهيكل، الحجاب الذي يفصل قدس الأقداس، انشق من فوق إلى أسفل.

كان يسوع قد أخذ حياتنا عليه. قد قام بعملنا وواجه تجاربنا. تألم فعلياً كل ما يمكن للحياة أن تجلبه عليه. كان قد عرف اخفاق أصحابه وبغض خصومه وحقد أعداءه. في هذه اللحظة، كان يسوع قد مضى خلال كل تجربة في الحياة عدا واحدة. لم يعرف أبداً عواقب الخطية. الانفصال عن الله خبرة بشرية لم يعرفها يسوع أبداً. كان يسوع من غير خطية ليس هناك تفسير مناسب لذلك السؤال الذي جاء من شفتي يسوع إلا الكتاب المقدس نفسه الذي يعطي الإجابة في رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ٢١:٥ «لأنه {أي الله} جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه.» في تلك اللحظة الرهيبة والمروعة والكئيبة تماثل يسوع حقيقياً بخطيتنا. في تلك اللحظة، ذلك الذي بلا خطية، جعله الله خطية وتركه. كان الألم المبرح أكبر من كل الآلام التي كان يسوع يعاني منها على ذلك الصليب، هو ان الله تركه.انشقاق حجاب الهيكل يمثل إبطال العهد القديم، ودخول المسيحيين في حضور الله نفسه. كان رئيس الكهنة وحده الذي يدخل من خلال ذلك الحجاب مرة واحدة في السنة. ولكن قد مزق الحجاب، وهذا يمثل انه يمكن لأي إنسان أن يتقدم إلى الله تواً من خلال موت يسوع.

من كل الأحداث لا يوجد شيء مثل هذه القصة في كل سجلات التاريخ. يلخص مرقس كل هذه الأحداث بطريقة سريعة منتظمة، لكي نفهم ما يعنيه الصليب.

الخلاصة

كشف القلوب عارية حول الصليب. أزال الصليب ريائنا؛ ووقفنا عراة أمام الله.

لم ينتهي الصلب في القبر. إذ لا رجاء في القبر. شكراً لله! يعطينا الأصحاح ١٦ من إنجيل مرقس صورة القيامة المجيدة. علينا أن نقرأ ست آيات إضافية فقط قبل ان نسمع الملاك يقول للنساء: «لا تدهشن. أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. قد قام! ليس هو هنا...» نحن نخدم الرب المقام والحي. موته هو كفارتنا؛ وقيامته هي رجائنا!

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧